16 ème Année No. 807

Lundi — 20 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى سبيل سياسة إيجابية

للجامعة العربية

للاستاذ عمر حليق

من الأخطاء التى ارتكبها العالم المتمدن اعتقاده أن العلة الأساسية التى جعلت تاريخ الإنسانية فى الخمسين سنة الأخيرة سلسلة من الحروب الداخلية والخارجية هى فساد المذاهب السياسية ، وأن الدواء الوحيد لها هو تغيير هذه المذاهب . ومن هنا تولدت الأنظمة النازية والفاشية والشيوعية والديمقراطية المعاصرة والاشتراكية ، ومن هنا كذلك تألفت عصبة الأمم المنحلة ، وهيئة الأمم القائمة .

هذا الاعتقاد خاطىء لأن التجارب المريرة التى مرت بها الانسانية فى ظل هذه النظم — نازية أو ديموقراطية أو شيوعية فى عصبة الأمم أو فى هيئة الأمم المتحدة — كلها لم تُشف الانسانية من علة الحروب ومن علة الشقاق الداخلى ومن علة التناطح فى العلاقات الدولية .

هذا الاعتقاد خاطىء لأنه يعالج النظم قبل أن يعالج الفرد الذى يتبنى هذه النظم ويتولى تنفيذها أو يعمل على تقييد نفسه بالتزاماتها . وهو خاطىء لأنه فى حماسته لتحقيق الأهداف نسى أو يتجاهل خطورة السبل والوسائل .

فمصيبة النازية والشيوعية والديمقراطية الغربية ، ومصيبة عصبة الأمم وهيئة الأمم ليست فقط فى المبادىء والفلسفات التى بنيت عليها ، فكلها مبادىء تتوخى — نظريا على الأقل — إسعاد المجتمع الذى تعمل فيه وتوفر له الاستقرار والرخاء .

ولكن المصيبة فى الأفراد الذين تولوا ويتولون العمل لها ، ومصيبة الوسائل والسبل المتخذة لتحقيقها .

وجامعة الدول العربية هى واحدة من هذه المذاهب السياسية التى شعر سكان الشرق العربى بحاجتهم إليها فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم ؛ وفى هذه الفترة الدقيقة التى تمر بها المجتمعات الصغيرة المتقاربة المتشابكة التى تنطق بالضاد .

وفى هذه الأزمة النفسانية العاصفة التى تجتاح العالم العربى ، وفى أعقاب هذه النكسات السياسية فى هيئة الأمم والعسكرية فى الميدان تتناول ألسنة الرأى العام الجامعة العربية بالنقد اللطيف حينا والعنيف أحيانا . وفى هذه الأزمة تتعرض المبادىء والفلسفة التى بنيت عليها الجامعة العربية لخطر جسيم . ولعل هذا الخطر هو أو هى ما يواجه الشرق العربى فى تاريخه الحديث ، وفترة فاصلة فى مستقبله .

وفى هذه الأزمة النفسانية قد يقع العرب فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الكثيرون حين ألمت بهم أزمات مشابهة ، فهم فى بلبلتهم الفكرية والعاطفية يميلون لأن يجسموا موطنا واحدا من مواطن الضعف فى نظرة ضيقة ، بل هم أميل إلى البحث عن لون من الحياة جديد .

وتكرر المأساة من جديد وهكذا دواليك .

فليس من الغريب إذن أن يتخذ بعض الناس هذه النظرة نحو جامعة الدول العربية وفكرة الوحدة العربية إجمالا فأن هذه النزعة وليدة شعوبية متأصلة ، ولكنها في أغلبها مخرج من أزمة نفسية .

ولهذا ، فان الأزمة التي تواجهها الجامعة خطيرة خطورة الفكرة التي تحملها . ولنقرر قبل كل شيء أن الفكرة والمبادىء التي بنيت عليها وتدعو إليها الجامعة العربية هي مبادىء سليمة . هذه أمور أساسية مستمدة من صميم الفكر السياسي والاقتصادي المعاصر ، ومن صميم المقدمات الثقافية (وهي تشمل السياسة والاقتصاد والعاطفة) التي يعيش عليها الناطقون بالضاد في الشرق الأدنى .

هي مستمدة من صميم الفكر السياسي المعاصر لأنها دعوة إلى التآلف الأقليمي والتكتل السياسي ، على أساس المصلحة الحيوية المشتركة في السياسة والاقتصاد والعصبية الثقافية وجميعها دعائم ضرورية للحياة الشريفة .

والجامعة العربية هي أول محاولة جدية للتعاون الأقليمي على أحدث ما أنتجته الفلسفة السياسية المعاصرة . والتعاون الأقليمي منصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة ، ويحتل مكانة بارزة أشد البروز في تكوين هيئة الأمم المتحدة الداخلي وفي نشاطها ونشاط فروعها والوكالات الخاصة الملحقة بها .

فمحاولة حلفاء الغرب توحيد أوروبا الغربية ومحاولة الروس في شرق أوروبا ، ودول العالم الجديد في مشروع الحلف الأمريكي مسبوقة بمحاولة الجامعة العربية للتكتل على دعائم أمتن وأبعد شأوا وأرفع في مقاييس الخير والشر في العلاقات الدولية .

ومع ذلك فان الجامعة العربية تواجه أزمة من طراز حاد ، والسبب في ذلك لا يرجع إلى مبادئها وأهدافها ولكن إلى الأفراد والسبل التي تحمل الدعوة إلى هذه المبادىء وتعمل لتحقيقها .

وقد أصبح التنديد بالزعماء والقادة من قبيل الكلام المبتذل ، ولقد جسمته ألسنة الرأي العام العربي ، فجعلته السبب الوحيد في هذه الأزمة التي يمر بها العرب اليوم ، ومن النادر أن نرى في هذا التنديد دراسات منتقدة للسبل والوسائل وللنواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تتحداها هذه الأزمة .

وعلة الجامعة العربية هي في افتقارها إلى إدارة رشيدة وخطط عملية ووسائل مرضية لتحقيق الهدف والفكرة التي تعمل لها فإنك لن تستطيع بلوغ هدف قبل أن تضع للوصول إليه خططاً وبرامج عملية وجهازاً إدارياً حازماً لتنفيذها .

والجامعة العربية في حالتها الحاضرة تحتاج إليهما جميعاً .

ولقد اعتدنا في الشرق العربي أن نتناول القادة من حيث (وطنيتهم) وما إلى ذلك من بقايا عهد النضال ضد الحكم الأجنبي . وقل أن نتناول القادة والزعماء من حيث مقدرتهم وصلاحيتهم ومؤهلاتهم العلمية واستعداداتهم النفسية . وكل توجيه سياسي لا يتوخى دراسة القادة على مثل هذا الضوء توجيه مشوه ضعيف .

والجزء الأكبر في هذه المقدمة الحادة التي جلبتها الجامعة العربية على نفسها والتي خلقتها ظروف وملابسات طارئة ، هي فقدان الكفاية والمؤهلات والاستعداد العلمي والنفساني في الجهاز الإداري ومراكز التوجيه والمسئولية فيها .

فالجامعة لا تزال تنظر إلى نفسها ، ولا يزال الناس ينظرون إليها على أنها رمز للوحدة العربية ، بدل أن تنظر إلى نفسها كبرنامج للوحدة وكمشروع إنشائي .

والجامعة عربية « بدوية » من حيث أنها تتناول الأشياء في نظرة شاملة على حين يتجه العالم نحو التحليل والتخصص . والجامعة في نظرتها هذه لا تجاري النزعة « العلمية » التي أخذت تتمكن من العقلية العربية المثقفة .

في هذه السنوات الثلاث التي مرت على الجامعة منذ تأسيسها أحرزت تقدماً سياسياً ملحوظاً وملموساً ، ولكنها قصرت تقصيراً مخجلا في الاقتصاد والمواصلات الفكرية والتعاون الثقافي والاجتماعي ، وذلك لأن المشرفين عليها يبدو أنهم لا يقدرون قيمة هذه النواحي في التعاون الإقليمي الصحيح ، والسياسة ليست وسيلة للتعاون الاقتصادي والفكري ولكنها نتيجة لها.

هذه الأصوات النابزة التي تصدر هنا وهناك وهذا الركود السياسي البادي في المملكة السعودية واليمن هي وليدة قصور الوسائل في الجهاز الإداري للجامعة العربية .

وهذا القصور لا يرجع إلى الصخور الشماء التي تقف في سبيل برامج الدوائر الثقافية والاقتصادية في الجامعة . ولكنه يرجع إلى فقدان هذه البرامج .

لقد عجزت مثلا الإدارة الاقتصادية في الجامعة عن أن تضع

لها أسباباً رفيعاً في هذه الثورة الصناعية التي تحتاج نجداً والكويت وتكاد تفصل شرق العالم الغربي عن غربيه وأواسطه ، اقتصادياً واجتماعياً . فلاغرابة إذن أن سياسة البترول (وهي سلاح خطير في العلاقات الدولية) في الجامعة العربية مقيدة باعتبارات سياسية محلية.

إن طائفة من الدراسات وسلسلة من المؤتمرات وتقارير الخبراء تفيد الجامعة في هذه الثورة الصناعية الخطيرة في طهران والبحرين والكويت فوائد جسيمة للتعاون السياسي والاقتصادي ولمستقبل الوحدة العربية إجمالا .

فهو أولا : محاولة لتعريب آبار الزيت تدريجياً فتوفر العمل والانتفاع المادي والمعنوي لألوف السعوديين والسوريين والمصريين وغيرهم من العرب في هذه المنشآت التي يمتص بها الأمريكان ذهب الصحراء ، ولربط قلب الجزيرة بالهلال الخصيب ووادي الكنانة من طريق استيطان هؤلاء العمال . وأي خطر على المستقبل الاجتماعي والثقافي — ولا نقول السياسي — للوحدة العربية وللتعاون الإقليمي جاثم في هذه الألوف من العمال الأمريكان والطليان وغيرهم الذين أنشأوا في قلب نجد والكويت قطعة من أمريكا ومستعمرات إيطالية و « جوالي » أجنبية الثقافة والولاء لا تبدو خطورتها إلا حيث ترسخ جذورها هنا وهناك كما رسخت في الاسكندرية وفلسطين .

وهي ثانياً : تحيط البيت السعودي بمجموعة عربية مستنيرة تعرف مايفعله الاستقلاليون الأمريكان في ذهب الصحراء وترقبهم في ذكاء العالم الخبير بدل أن تترك البترول والبيت السعودي المالك والمجتمع السعودي إجمالا والتعاون الاقتصادي العربي فريسة في يد الاستقلاليين الماليين ومعهم حفنة من المرتزقة العرب الذين ضربوا نطاقاً حديدياً على البلاد السعودية وآثار هذه العزلة الاقتصادية في البلاد السعودية علاوة على أضرارها السياسية الوخيمة (كما تشهد قضية فلسطين) كونها نقطة أمريكية استراتيجية فإن لها خسائر اقتصادية جسيمة على باقي أقطار العالم العربي ؛ هذه الخسائر لا يقدرها إلا الذين أتيح لهم الاطلاع على نخامة التبادل التجاري الذي تمتص به عشرات الشركات التجارية في نيويورك الدخل القومي للمملكة السعودية في جميع أوجه التبادل التجاري وبعملة صعبة كالدولار الأمريكي الذي يحتاج إليه الاقتصاد العربي في سوريا ومصر والعراق ولبنان وفلسطين حاجة ماسة. والقصور في هذا التعاون الاقتصادي ملموس في أكثر من ناحية ، وليست سبب موانع سياسية فقط . ولكنه في أساسه قصور في التعريف بفوائده ودراسة لفوائده المادية والعملية دراسة علمية وتعميمها بنباهة وعلى نطاق واسع . هو قصور في الوسائل والسبل . والواقع أن الجامعة العربية قد أهملت استعمال أمضى الأسلحة لتدعيم كيانها والأهداف التي تدعو إليها ، وهي دعائم الرخاء والاستقرار في هذا الجزء الهام في العالم .

هذه الذئاب التي تجثم على أطراف الشرق العربي لتنهش منه وتعيش على خيراته ما الذي يدفعها إلى ذلك ؟ ما سر تنافس الروس والأمريكان والبريطانيين على هذا الشرق ؟ وهذه الثعالب الراقدة بين ظهرانينا تستثمر اللابين في الشركات « المصرية » وفي مشاريع اليهود في فلسطين ، أليست وليدة المعرفة بالإمكانيات الغربية الكامنة في الشرق العربي ؟ كم يعلم المواطن العربي عن هذه الإمكانيات ؟ لمحات خاطفة في الصحف السيارة لا تشفي الغليل ولا توقظ في النفس وعياً اقتصادياً صحيحاً . الفائدة التي تجنيها الجامعة العربية والفكرة التي تعمل لها عظيمة لو أن الدوائر المختصة في الجامعة جمعت أو كلفت من يدرس هذه الإمكانيات في إسهاب ودقة لتعميمها على أوسع نطاق ؛ ولم تترك ألسنة الرأي العام العربي والمثقفين العرب في معلوماتهم عن الوضع الاقتصادي في الأقطار العربية فريسة للمعلومات المشوهة المغرضة التي تصدرها المصادر اليهودية والشركات الأجنبية في عشرات البحوث والنشرات . ولماذا يكون المواطن العربي أجهل الناس بوضع بلاده وخطورتها في الاقتصاد الدولي ؟ قد لا تلام الجامعة العربية وحدها على هذا التقصير . فالخبرة الفنية متوفرة في معاهد العلم والدوائر الحكومية والحكومات والأوساط العلمية العربية والمثقفون الخبيرون يشاركون الجامعة وزر هذا الإهمال الضار .

وخذ مهزلة التعاون الثقافي . كأن الثقافة صرف ونحو وترجمة. ليس للجامعة العربية نشرة واحدة محترمة تحمل رمز هذا التعاون ورسم المناهج له ، وليس لها وسيلة واحدة في وسائل المواصلات الفكرية لتنقل إلى بيروت وبغداد أنباء البحث ونجد والكويت، والصحف العربية لا تزال فريسة الدعاية الأجنبية الخبيثة عن طرق وكالات الأنباء الأجنبية حتى فيما يتعلق بالشؤون العربية الصرفة . وكم من بلبلة أوجدتها هذه الوكالات في الحياة العربية الداخلية بوسائلها الخبيثة . وشكراً لمصر التي تكاد تحتكر الإنتاج الفكري والصحفي فتؤلف نوعا مشوها من الوحدة في الاتجاهات